

جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية



محاضرات في مادة
تاريخ الجزائر الحديث (القرن 16 – القرن 19)

للسنة الثانية تاريخ عام (ل.م.د.)
السداسي الرابع
وفق برنامج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

إعداد

الشافعي درويش أستاذ محاضر أ
chafaidrouiche@yahoo.fr

السنة الجامعية: 1440 هـ – 1441 هـ / 2019 م – 2020 م

السداسي: الرابع

عنوان الوحدة : التعليم الأساسية 2

المادة: تاريخ الجزائر الحديث ق 16- ق 19

محتوى المادة :

- الغزو الايبيري للبلدان المغاربية.
- التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني
- العلاقات الدولية للجزائر في التاريخ الحديث
- الدولة والمجتمع في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (نظام الحكم، الاقتصاد، الأوقاف، التعليم، الزوايا، التنظيم الاجتماعي)

مقدمة :

يعتبر تاريخ الجزائر الحديث من المراحل الهامة من تاريخ الجزائر، والذي بدأ منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519، وتغير مسارها ودورها وتحولها إلى قوة في الحوض الغربي من البحر المتوسط، فقد لعبت الجزائر دورا إقليميا ودوليا من تلك الفترة، كما استطاعت تحرير موانئها من الاحتلال المسيحي الأجنبي الإسباني. وقد شهدت تطورات كثيرة خلال تلك المرحلة. وقد مرت بأربعة مراحل في تطورها في هذه الفترة، كما كان لها علاقات متنوعة وعديدة مع دول حوض البحر المتوسط بصفته الجنوبية والشمالية، وتعدتها إلى المحيط الأطلسي .

وبذلك يمكن القول أن هذه الفترة كانت هامة وضرورية ساهمت في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، التي كانت قوة بحرية يحسب لها حسابها من طرف الدول المسيحية، قبل أن تدهور مع نهاية القرن 18م، لتسقط الإيالة بعد الحملة الفرنسية في سنة 1830م .

وسبق وان درسنا 4 محاضرات قبل العطلة . بالتوفيق.

المحاضرة الأولى : 1- الوضع السياسي العام للدول المغاربية :

الإشكالية : كيف كان الوضع السياسي العام لدول المغرب؟ وكيف كانت حالة دوله ؟

قبل أن نتكلم عن الغزو الإيبيري لبلدان المغرب الإسلامي ، خلال القرن السادس عشر الميلادي ، يجب أولاً أن نتعرف عن الوضع السياسي لبلدان المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس عشر ؛ وبذلك نستطيع فهم الظروف والعوامل ، التي سهلت على الدول الإيبيرية غزو منطقة المغرب الإسلامي ، خلال هذه الفترة . وبعد ذلك نتطرق إلى مراحل الغزو الإيبيري للمنطقة .

1- الوضع السياسي العام للدول المغاربية :

كانت منطقة المغرب الإسلامي مع مطلع القرن 16م ، تعيش حالة من التفكك الداخلي ، والتجزؤ ، فظهرت ثلاث إمارات مستقلة في منطقة المغرب الإسلامي تنافست فيما بينها مما أدى إلى ضعفها . هذه الإمارات هي : إمارة بني عبد الواد الزيانيين وعاصمتها مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط ، وإمارة بنو حفص بالمغرب الأدنى بتونس ، وإمارة بني مرين بالمغرب الأقصى ، وتميزت علاقات هذه الإمارات بالتطاحن ، والنزاعات المستمرة .

كما أن الصراع على السلطة ، والاقترال بين أبناء الأسرة الواحدة ، قد أدى إلى إهناك تلك الإمارات اقتصادياً ، وعسكرياً ، بل وأضعف السلطة المركزية لكل منها . وصارت أقطار المغرب فسيفساء سياسية لاسيما المغرب الأوسط مع مطلع القرن 16م . ويمكن أن نميز تلك الحالة كالتالي :

2- الدولة الحفصية في تونس :

دخلت البلاد التونسية مرحلة أزمة شديدة في أواخر القرن 15م ، ومطلع القرن 10هـ/16م . وهناك عوامل جديدة ظهرت أخلت بما عرفته الدولة الحفصية ، من توازن دام قرناً عديدة ، ويبدو أن تلك التغيرات قد فرضها الوضع الدولي ؛ وهو أمر يتجاوز إطار البلاد التونسية وحدها .

، وبذلك انحلت هذه الدولة ، وفقدت القدرة على ردع القوى الانفصالية ، فقد استعاد سكان البلاد وخاصة القبائل استقلالهم ، وحررتهم عن سلطتها حتى إن نفوذ الحفصيين لم يكن يتعد مدينة تونس نفسها ، في مطلع القرن 16/10م . أما المناطق البعيدة كبسكرة ، قسنطينة ، وغيرها فخرجت عن نفوذه ، واستقلت عنه ، وصارت الموانئ التونسية تحت نفوذ القبائل العربية ، والطرق الصوفية كالشايبة ، التي اتخذت من مدينة القيروان عاصمة لمملكتهما .

أما طرابلس الغرب :

استقلت طرابلس في مطلع القرن 10هـ/16م عن الحفصيين بسبب ضعف الدولة الحفصية، وصارت تلقي الخطبة باسم السلطان المريني بفاس ، أما سيرت فكان يحكمها مجلس منتخب من الأعيان يرأسه أحد الشيوخ . وفي سنة 1510م/915هـ تمكن الإسبان من احتلال مدينة طرابلس ، بقيادة الكونت بيدرو نافارو ، الذي ترك بها حامية قدرت بثلاثة آلاف جندي ، وظلت بيد الإسبان إلى أن منحها شارلكان إلى فرسان القديس يوحنا في سنة 1530م .

2- الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط :

أما في النصف الغربي من المغرب الأوسط فقد أدت الخلافات على العرش في تلمسان إلى تقلص نفوذ الملوك الزيانيين فيها ، وتجزأت سلطنتهم إلى جمهوريات مدن صغيرة في وهران ، والجزائر ، وغيرها ، وإلى إمارات هنا ، وهناك في تنس ، الحضنة ، والزاب ، وتقرت . قبل أن تتعرض معظم المدن الساحلية إلى الاحتلال الإسباني . وقد أدى التفكك ، والتجزؤ ، والغزو الإسباني إلى تدهور أوضاع منطقة المغرب الأوسط ، مما دفع السكان في بجاية ، وجيجل ، والجزائر ، وحتى في تلمسان إلى الاستنجاد بالعثمانيين عند ظهور الإخوة بربروس بسواحل المغرب الإسلامي .

3- الدولة المرينية بالمغرب الأقصى :

لم يكن المغرب الأقصى أحسن حالا ، فقد كان يعاني من التجزؤ ، والضعف ، والتفكك ، مما جعل البلاد عرضة للحملات البرتغالية ، والإسبانية ، التي أصابت أهم المدن ، والمواقع الساحلية . وأمام عجز المرينيين ، ثم الوطاسيين في مواجهة الغزو الخارجي ، برز السعديون على المسرح السياسي في سنة 1509م انطلاقا من الجنوب ، وأخذوا شيئا فشيئا في التحكم في زمام الأمور .

إذن فهذه هي حالة البلدان المغاربية مع مطلع القرن السادس عشر ، وهي وضعية متشابهة بين كل أقطار المغرب ، تتشابه في التجزؤ والضعف كلها ، وهو ما جعلها تواجه المصير نفسه ، أي أنها أضحت عرضة للغزو الإسباني .

المحاضرة الثانية : الاحتلال الإسباني للدول المغاربية :

الإشكالية: لماذا تحولت كل من إسبانيا والبرتغال إلى قوى استعمارية؟ ولماذا توجهت إلى بلدان المغرب الإسلامي؟ وماهي أهم المناطق التي احتلتها في المغرب؟

نقصد بالدول الإيبيرية دول شبه الجزيرة الإيبيرية؛ وهي دولتان إسبانيا والبرتغال، هذه الدول التي أصبحت قوى بحرية منذ القرن الخامس عشر، وبالتالي تحولت إلى قوى استعمارية توسعية، كان أقرب أهدافها هي الدول المغاربية نظرا للقرب الجغرافي، وللعلاقات التاريخية بين الطرفين. هذه القوى الإيبيرية على الرغم من اختلافها في القوة والأهداف، إلا أنها اتفقت منذ نهاية القرن الخامس عشر على تحديد أهدافها حتى لا تتصادم مصالحها .

أ- الاحتلال البرتغالي :

استكمل البرتغاليون وحدتهم الوطنية قبل الإسبان سنة 1413م؛ ففرغوا لغزو المغرب باحتلال مدينة سبتة في سنة 1415م، ثم محاولتهم احتلال مدينة طنجة في سنة 1437م، التي كانت فاشلة، تلتها احتلالهم لبلدة القصر الصغير في سنة 1458م. وفي سنة 1469م قاموا بتخريب مدينة أنفي (الدار البيضاء)، ثم قاموا بعد ذلك باحتلال مدينتي أصيلا، وطنجة في سنة 1471م. كما كان البرتغاليون أول القوى الأوروبية، التي عرفت طريق الهند منذ سنة 1498م؛ عندما أوصلهم إليها البحار العربي المسلم أحمد بن ماجد في أعقاب وصول كريستوفر كولمبس إلى أفريقيا في سنة 1492م. وتمكن البرتغاليون بعد توقيع إتفاقية تورديسيلاس مع الإسبان، من احتلال مدينة ماسا في سنة 1497م، ثم موقع مازكان في سنة 1502م، فأعادير في سنة 1505م، وموركادور في سنة 1506م، وآسفي في سنة 1508م، وآزموور في سنة 1513م، وتطلعوا في سنة 1515م إلى احتلال مدينة مراكش، ولكن حملتهم باءت بالفشل. وبذلك مضت البرتغال بدورها في تحقيق مشروعها التوسعي باتجاه بلدان الضفة الجنوبية، بعدما تم تحديد مناطق النفوذ مع إسبانيا .

ب- الاحتلال الإسباني :

عرفت شبه الجزيرة الإيبيرية تطورات هامة، في نهاية القرن 15م، كان لها تأثير على مستقبل إسبانيا، وعلى أوروبا، وعلى منطقة الحوض الغربي للمتوسط بشكل عام. ومن هذه التطورات زواج فرديناند (1467م-1516م) ملك أراغون بإيزابيلا (1474م-1504م) ملكة قشتالة سنة 1469م، وتم توحيد المملكتين، وظهور مملكة إسبانيا الكاثوليكية الموحدة .

وقد اتخذت هذه الوحدة السياسية ، التي عرفتها الجزيرة الإيبيرية صبغة دينية ؛ اعتمدت على التحالف بين الكنيسة الكاثوليكية ، والملوك الكاثوليك ، والتي نتج عنها ما عرف بحرب الاسترداد Reconquista التي وجهتها إسبانيا ضد مسلمي الأندلس ، و سكان المغرب الإسلامي .

فتم استسلام غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس للملكين الكاثوليكين في سنة 1492م. وبسقوطها أصبحت إسبانيا على مقربة من بلدان المغرب ، حيث عملت على ملاحقة مسلمي الأندلس ،الذين لجأوا إلى تلك البلدان ، ثم بدأت في تنفيذ مشروعها التوسعي ،بهدف احتلال المناطق الساحلية الاستراتيجية لبلدان المغرب .

وقد أرسلت الملكة إيزابيلا عدة بعثات تجسسية باتجاه الضفة الجنوبية لمعرفة أوضاعها ، كان أهمها ، التي أرسلت إلى مملكة تلمسان و على رأسها لورينثو دي باديا Lorenzo de Badia في سنة 1493م ،. كما وظف الكاردينال اخسيمينيس أحد التجار الإيطاليين واسمه ، جيرومينو فيانيللي Geromino Vianelli . وفي سنة 1494م أرسل فرديناند جاسوسا آخر وهو فيرناندو دي زافيرا Fernando de Zafira إلى مملكتي فاس، وتلمسان. وقد كان هؤلاء الجواسيس يتنكرون في زي التجار، بحد الحصول على المعلومات ، التي يحتاجها الإسبان في غزو بلدان المغرب الإسلامي .

وفي مطلع القرن 16م احتلت إسبانيا موانئ هامة على سواحل المغرب الإسلامي ، كالمرسى الكبير في سنة 1505م ، ووهران في سنة 1509م ،وبجاية في سنة 1510م و حجر باديس في سنة 1508م . ثم طرابلس في سنة 1510م .

ونظرا لاشتداد الغزو الإيبيري على البلدان المغاربية ، كان على هذه البلدان أن تحدد مصيرها ،إما أن تقبل بالاحتلال الإيبيري لسواحلها ،وإما أن تدافع عن نفسها ،أو تجدد لها من يحميها من هذا الاحتلال المسيحي الإيبيري . وهذه الحالة تنطبق على الجزائر ،التي اختار سكانها الاستنجاد بالدولة العثمانية لمواجهة الغزو الإسباني ،وبذلك دخل المغرب الأوسط مرحلة جديدة من تاريخه ،وانتقل من العصور الوسطى إلى العصر الحديث .وبذلك ستعرف الجزائر تطورات سياسية وعسكرية وحتى اجتماعية وثقافية جديدة مغايرة للمراحل السابقة ،خلال العهد العثماني ،وهذا ما سنتعرف عليه في المحاضرة اللاحقة .

المحاضرة الثالثة : التطور السياسي للجزائر في العهد العثماني:

الإشكالية: لماذا ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية؟ وكيف تم ذلك؟

1- ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية :

لقد ظهر الإخوة بربوس، الذين سيلعبون دورا هاما في توجيه العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي ، وإسبانيا في الحوض الغربي للبحر المتوسط . يعود أول تعاون بين الجزائريين ، والعثمانيين ضد الإسبان إلى المحاولة الأولى لتحرير بجاية ، التي قادها عروج في سنة 1512م ، لكنه فشل في تحريرها بسبب التحصينات الإسبانية ، فانسحب إلى تونس بعد أن بترت ذراعه ثم انتقل من تونس إلى جيجل، التي حررها من يد الجنويين ، واتخذها قاعدة لنشاطه البحري ،الذي كثفه على الموانئ الإسبانية .وأعاد عروج حصار بجاية في سنة 1514م ؛لكنه فشل بسبب نقص ذخيرته ،ورفض السلطان الحفصي تزويده بالإمدادات خوفا من زيادة مكانة الإخوة بربوس في بلاد المغرب .

وتعود المحاولات الأولى لتحرير المدن الساحلية الجزائرية إلى سنة 1516م ، لما توفي الملك فرديناند الكاثوليكي ،فاستغل سكان مدينة الجزائر بقيادة سالم التومي هذه الفرصة ؛للتخلص من الوضعية الصعبة ،التي فرضها عليهم الإسبان منذ سنة 1510م ؛عند احتلالهم لصخرة البينيون ،التي وضعوا فيها حامية كانت تقيد المدينة ،وتتحكم فيها .فكتبوا إلى عروج في جيجل يستنجدون به، فقبل عروج الدعوة من أجل نصرمة الجزائريين ،وجهز قوته ، واتجه إلى مدينة شرشال حيث قضى على تمرد لأحد أتباعه المدعو حسن قارة ، و ترك بها حامية عسكرية ،ثم عاد إلى مدينة الجزائر فاستقبله سكانها .

قام عروج بقصف قلعة البينيون بالمدفعية لمدة عشرين يوما ، لكنه لم يتمكن من تحطيمها ، لذلك أجّل أمر تحريرها لوقت لاحق . تخوفت إسبانيا من تمركز الإخوة بربوس بالجزائر ،لذلك جهزت حملة عسكرية في سبتمبر 1516م ؛ قوامها 320 سفينة ، 15000 جندي بقيادة ديغو دي فيرا Digo de Vera ، لكن الحملة الإسبانية فشلت بسبب الظروف الطبيعية ، فكان ذلك انتصارا كبيرا للإخوة بربوس ، ولسكان مدينة الجزائر ، من أجل ذلك سارعت المدن المحيطة بمدينة الجزائر ، وبلاد القبائل إلى الاعتراف بسيادة عروج .

استولى عروج على مدينة تنس ، وقتل أميرها الزياني المتعاون مع الإسبان ، كما استنجد سكان تلمسان بعروج ضد ملكهم أبو حمو الثالث الزياني المتعاون مع الإسبان، فاتجه إليها ؛ وفي طريقه وضع

حامية عسكرية تركية بقلعة بني راشد ، تحت قيادة أخيه إسحاق ليحمي مؤخرته . فتمكن عروج من دخول تلمسان والإطاحة بأبي حمو الثالث ، الذي فر إلى مدينة وهران ، للاستنجاد بالإسبان .

توجه أبو حمو الثالث على رأس قوة من الإسبان والأعراب إلى قلعة بني راشد ، فقتلوا الحامية التركية التي كان على رأسها إسحاق في 1518م ، ثم وصلوا إلى تلمسان ، وضربوا عليها حصارا ؛ تمكن عروج وجنوده من الصمود ستة أشهر ، ثم اضطر إلى الخروج باتجاه المغرب ، تفطن الإسبان لخروجه فلحقوا به ، واستشهد في ماي سنة 1518م بعد مقاومة باسلة وعمره أربعة وأربعين عاما .

بعد استشهاد عروج وجد أخوه خير الدين ؛ الذي كان قد خلفه في مدينة الجزائر نفسه في وضعية صعبة ؛ فقد هددته الأخطار من كل جانب ، خطر الإسبان ، وأطماع الحفصيين من الشرق ، وتمرد مدن شرشال ، وتنس ، وبلاد القبائل بقيادة أحمد بن القاضي ، إضافة إلى نقص المؤونة ، والجنود . في هذه الظروف الصعبة عزم خير الدين على مغادرة الجزائر ، لكن أعيان المدينة رفضوا ذلك ، وطلبوا منه البقاء ، لذلك تراجع عن قراره وبدأ يعمل على تدعيم أسس الدولة الجزائرية ، التي جعل من مدينة الجزائر عاصمة لها ، والتي ستتولى مواجهة الحملات الإسبانية ، وحماية المنطقة المغربية . وبفضل عبقرية خير الدين ، الذي رأى أنه بحاجة إلى قوة حليفة تقف إلى جانبه لمواجهة الخطر المسيحي الإسباني ، ومشروعه الاستعماري ؛ فرأى أن القوة الوحيدة القادرة على حماية البلاد ؛ هي الدولة العثمانية الإسلامية ، فعرض ذلك على أعيان مدينة الجزائر ، الذين رضوا ، ووجهوا رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول ؛ يطلبون فيها التبعية للدولة العثمانية في سنة 1519م .

وافق السلطان على دخول الجزائر إلى أقاليمه ، ومنح خير الدين لقب بيلرباي ، وأرسل إلى الجزائر أسطولا بحريا ، وقوة من الإنكشارية ، وكمية من الأسلحة . وبذلك أصبحت الجزائر مرتبطة بالدولة العثمانية ، ومتحالفة معها ضد إسبانيا والعالم المسيحي ؛ وهذا ما وصفه المؤرخون الأوروبيون بأنه بادرة غيرت مجرى التاريخ الإفريقي .

المحاضرة الرابعة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية : كيف كانت سياسة الحكم العثماني في الجزائر؟ وماهي مميزاتها ؟

2- سياسة الحكم العثماني في الجزائر :

لم يكن للعثمانيين خطة عامة واحدة لإدارة حكم البلاد، التي خضعت لهم أو دخلت في طاعتهم، بل تأثرت سياستهم الإدارية بصورة عامة بالأوضاع الداخلية، التي كانت قائمة في كل بلد قبل دخوله، وبالظروف التي تم فيها الفتح. وكان التنظيم الإداري العثماني يركز في البلاد المفتوحة على قبولها؛ وجود ممثل السلطان أو نائبه (الباشا)، وحامية تركية تكون محدودة العدد في الأحوال العادية، ودفع الضرائب. وفيما عدا ذلك تبقى السلطة العثمانية بعيدة عن الحياة العامة للبلاد المحكومة؛ فلم يكن للدولة العثمانية سياسة عامة مرسومة في الاقتصاد والتعليم الخ.

فمنذ أن ربط خير الدين مصير الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1519م، أدرك السلطان سليم الأول أهمية موقع مدينة الجزائر في البحر المتوسط، واطلق عليه لقب الباشا (الباي)، وأرسل له قوة انكشارية تتكون من 2000 جندي مجهزين بالمدفعية، إلى جانب 4000 من المتطوعين، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزائر إيالة عثمانية، وقاعدة عسكرية تابعة للباب العالي في الحوض الغربي للبحر المتوسط. ارتبط نظامها السياسي فعليا بالسياسة العثمانية، وسلطة الباب العالي، وقد عرف نظام الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني تطورات سياسية وعسكرية، وإدارية متنوعة؛ كانت لها انعكاساتها الواضحة على الجزائر خلال هذه الفترة. وتتفق بعض الكتابات إلى أن العثمانيين لم يحسنوا سياسة الحكم في الجزائر، بالرغم من الدور العسكري الذي لعبوه خلال فترة حكمهم؛ والمتمثل في حماية الجزائر من الاحتلال المسيحي الأوربي. ذلك أن العثمانيين خلال فترة حكمهم للجزائر، بدلا من أن يندمجوا في أوساط الشعب دون مركب، ويتعاونوا مع الأهالي على تنظيم البلاد؛ تنظيما متينا يجعل منها حصنا منيعا صعب المنال انعزلوا عن مساعداتها في مجالات التسيير حتى لا يفقدوا سلطانهم الأمر، الذي أدى إلى حدوث كثير من الثورات والتمردات، ولقد سلك العثمانيون أيضا سياسة التفرقة بين القبائل؛ للقضاء على كل معارضة وعاملوا القبائل بحسب القيمة الحربية لكل واحدة، بحسب مركزها الاجتماعي.

في حين تفتن العثمانيون للدور الكبير الذي يلعبه رجال الدين، وكذا المؤسسات الدينية والزوايا والطرق الصوفية، فعاملوهم معاملة خاصة، ليس كسائر الأهالي، فكانوا يستشيرونهم في كثير من الأمور

،ويسهمونهم في المعارك والمفاوضات ،كما كانوا يخصصون لهم جزءا مما يدره عليهم الجهاد البحري ،ويجبسون الأعباس للمساجد والزوايا .
وقد مر نظام الحكم في الجزائر بأربعة مراحل ،اختلفت عن بعضها البعض ،وشهدت خلالها الجزائر أحداثا وتطورات متنوعة ،كانت بداية تلك الفترة في سنة 1519م بعهد خير الدين بربروس ،ونهايتها في سنة 1830م مع نهاية عهد حسين داي .

المحاضرة الخامسة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية: ماهي مراحل الحكم العثماني في الجزائر؟ وماهي خصائص كل مرحلة؟

3- مراحل الحكم في الجزائر خلال العهد العثماني :

أ- عهد البيلربايات (1519-1587) :

بدأت هذه المرحلة باعتلاء خير الدين ،الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية ،وتعيينه بيلرباي عليها في سنة 1519م .البيلربايات أو البكلربكوات تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل العهد العثماني في الجزائر ،وتعني الكلمة أمير الأمراء ،وهو من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية .ومنح السلطان سليم الأول هذا اللقب لخير الدين ؛دلالة على امتيازه ولأهمية ولايته التي يحكمها كنائب للسلطان ،فقد اعتبرت الجزائر قاعدة للحكم العثماني ،وللنشاط العثماني في شمال أفريقية ،وفي الحوض الغربي للمتوسط ،وأشرفت على إخضاع باقي الولايات في شمال إفريقية ،وظلت مسؤولة عن تسيير شؤونهم حتى نهاية عصر البيلربايات .

وقد تناوب على حكم الجزائر خلال عهد البيلربايات سبعة أترك وسبعة من الأعلاج (المهتدين أو المرتدين عن المسيحية إلى الإسلام ،واثنين من الكراغلة وعربيين من خارج بلاد المغرب .ومن أبرز الحكام خلال هذا العهد :خير الدين بربروس (1519م - 1533م) ،وحسن أغا (1533م - 1544م) من سردينيا ،وحسن باشا بن خير الدين (1544م - 1552م) وهو كرغلي ،وصالح رابيس (1552م - 1556م) وهو من الأتراك ،وحسن قورصو (1556م - 1557م) ،وعلج علي (1568م - 1571م) ،وحسن فنزيانو (1583م - 1587م) ؛وهؤلاء الثلاثة كلهم من الأعلاج ،الذين وصلوا إلى أعلى المراتب بعد إسلامهم .

يعتبر خير الدين بربروس من أهم البيلربايات ،نظرا للدور الذي قام به من أجل تثبيت أسس الحكم العثماني في الجزائر ،وفي بلاد المغرب الإسلامي كله .فقد قام خير الدين بأعمال جليلة ؛حيث تمكن من فتح مدينة القل في سنة 1521م ،ومدينة عنابة وقسنطينة في سنة 1522م ،كما تمكن من طرد الإسبان من صخرة البينيون في سنة 1529م ،وبذلك أنهى تهديدهم لمدينة الجزائر ،التي ظلت لمدة تقارب العشرين سنة ،وحولها إلى ميناء ترسو به السفن الجزائرية ،وبذلك أصبح لمدينة الجزائر ميناء ،تحتمي به سفن الأسطول البحري ،وأصبح لها دور كبير في حوض المتوسط .

كما تمكن خير الدين من إفشال الحملة الإسبانية على مدينة شرشال في سنة 1530م ،بقيادة الجنوي أندري دوريا .كما قام خير الدين بعدة حملات على السواحل الإسبانية ،انقذ خلالها حوالي سبعين الف لاجئ مسلم ،استقروا في مدينة الجزائر ،استغل خبرتهم في محاربة القراصنة الإسبان .ونظرا للدور الذي لعبه

خير الدين في محاربة الإسبان ، وإنقاذ مسلمي الأندلس فقد استدعاه السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 1533 م .

وقد عين خير الدين خلفا له أحد تلاميذه ، وهو حسن أغا الطوشي في سنة 1533 م ، وقد كان حسن أغا رجلا عاقلا وصالحا ، وعالما فذا وقائدا باسلا ، محنكا وشجاعا . وقد حكم حسن باشا بن خير الدين ثلاث ولايات (1544م - 1552م) ، (1557م - 1561م) ، (1562م - 1567م) ، ويعود له الفضل في وضع أسس تنظيم إداري للجزائر ، والذي سيستمر حتى نهاية العهد العثماني ، فقد قسم الجزائر إلى أربعة بايلىكات أو مقاطعات أو عمالات ، وجعل على رأس كل بايلىك حاكم أو باي ، وجعل له عاصمة وهي :

- دار السلطان وهو يمتد بين دلس شرقا وتنس غربا ، وبين البحر شمالا وبايلىك التيطري جنوبا به مقر الحكم العثماني للإيالة ، عاصمته مدينة الجزائر .

- بايلىك الشرق أول البايلىكات المستحدثة عاصمته قسنطينة يعود إلى حوالي سنة 1543 م .

- بايلىك التيطري جنوب دار السلطان عاصمته مدينة المدية يعود إلى سنة 1548 م .

- بايلىك الغرب عاصمته مدينة مازونة ، ثم معسكر ، وأخيرا مدينة وهران بعد تحريرها من الإسبان ، يعود استحداثه إلى حوالي سنة 1563 م .

وكان كل بايلىك يشمل على عدد من الأوطان ، وكل وطن على عدة قرى وقبائل ، وكان حكم الوطن يسند عادة إلى تركي أو كرغولي ، وحكم القرى والقبائل لشيوخ من أهلها ، والقبائل حسب علاقتها بالسلطة العثمانية نوعان : قبائل مخزنية متعاونة مع السلطة معفية من أداء الضرائب ، وقبائل الرعية تدفع الضرائب للسلطة .

وفي عهد صالح راييس (1552م - 1556م) وهو عربي الأصل من الإسكندرية ، تمكن من مد نفوذه إلى منطقتي تقرت وورقلة في الجنوب الجزائري ، وأخضع أمراء بني جلاب للسلطة العثمانية في الجزائر . كما تمكن من تحرير مدينة بجاية من الاحتلال الإسباني في سنة 1555 م . وقد خلفه حسن بن خير الدين في ولايته الثانية والثالثة . وبعده تم تعيين محمد بن صالح راييس بيلربايا على الجزائر (1567م - 1568م) ، وقد تركزت جهوده على بعض الإنجازات الداخلية كتعزيز القدرة الدفاعية البحرية للجزائر وتثبيت الأمن الداخلي للإيالة . وقد خلفه العلي علي (1568م - 1587م) ، الذي يعتبر من أهم بيلرباياات الجزائر ، تميزت ولايته بعدة إنجازات وأحداث ، برز خلاله دور الجزائر في حوض للبحر المتوسط ، كحملته على تونس في سنة 1569 م ، ومساعدته لثورة الأندلسيين في إسبانيا في سنة 1569 م ، ومشاركة الجزائر في معركة ليبانت في سنة 1571 م ، وتحرير تونس وضمها للخلافة العثمانية في سنة 1574 م .

وبوفاة علق علي في سنة 1587م ألغت الدولة العثمانية نظام البيلبايات في الجزائر ،ذلك أن الجزائر لم تعد الحصن الأمامي للدولة العثمانية ،بل صارت ولاية عثمانية مثل غيرها .ويفسر هذا التغيير بتخوف السلطان العثماني من أن يتجه البيلبايات بسبب قوتهم البحرية نحو الاستقلال ،ذلك أن حكم البيلبايات لم يكن له حد زمني من جهة ،ومن جهة أخرى كانت تونس وطرابلس تابعة لحكم الجزائر .

وبذلك انتهت مرحلة من مراحل الحكم العثماني في الجزائر ،تميزت بسيطرة فئة الأعلاج ورياس البحر على نظام الحكم حتى نهاية الربع الأخير من القرن السادس عشر ،لعبت خلاله الجزائر دورا كبيرا كقوة بحرية في الصراع الإسلامي - المسيحي في حوض البحر المتوسط ،كما كان لها كذلك الدور الهام في ضم باقي بلدان المغرب الإسلامي إلى الدولة العثمانية .

المحاضرة السادسة : التطور السياسي للجزائر خلال العهد العثماني :

الإشكالية : فيما تمثلت خصائص ومميزات مرحلتي الباشوات والأغوات ؟

ب- عهد الباشوات (1587-1659) :

بعد وفاة عروج علي آخر بيلربايات الجزائر، قرر السلطان العثماني مراد الثالث إدماج الإيالات الإفريقية (الجزائر، تونس، طرابلس)، في الإمبراطورية العثمانية؛ ليحد بذلك من استقلالها، ويتمكن من مراقبتها. وبذلك تم وضع نظام الباشوات بدل البيلربايات؛ حيث يعين باشا لمدة ثلاث سنوات، كان أولهم دالي احمد باشا، وأخبرهم إبراهيم باشا. وقد كان الباشوات يديرون شؤون البلاد بمعاونة الديوان المؤلف من رؤساء الجند، ولكي يبقى الباشا في منصبه كان عليه أن يساير الديوان ويقر قراراته. ونتيجة لذلك فقد شهد عهد الباشوات عدة مظاهر للفوضى والاضطراب في الجزائر :

- ثورات الكراغلة سنوات 1596م، و1633م .

- ثورات في بلاد القبائل .

- الصراع المستمر بين الجند الانكشارية وطائفة رياس البحر.

لقد كان الباشا يعين لمدة ثلاث سنوات، ومن النادر أن يكمل مدته، وقد تعاقب على حكم الجزائر ثلاثة وأربعون باشا، تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة، وتعرض الكثير منهم للعزل على يد الأوجاق، لقد كان الباشوات يشتركون مناصبهم بالمال، وكان همهم الوحيد هو جمع الثروة، لذلك تميز عهدهم بالاضطراب وعدم الاستقرار، والصراع مع الجند، وحقد الأهالي عليهم .

ونتيجة لذلك اتسعت الهوة بين الباشوات والمجتمع الجزائري، وأدى ذلك إلى سقوط نظامهم في سنة 1659م، حدث تمرد ضد إبراهيم باشا آخر الباشوات قاده رجال الانكشارية، الذين ألقوا عليه القبض، ووضعوه في السجن وأعلن البوكباشي خليل نهاية حكم الباشوات، وعين أول أغا على رأس الحكم في الجزائر، وبذلك استولت طبقة الانكشارية على الحكم وبدأ عهد الأغوات⁽⁴⁾. وبذلك استبدت مرحلة أخرى من مراحل الحكم العثماني تسمى عهد الأغوات .

ج- عهد الأغوات (1659-1671) :

يعتبر عهد الأغوات من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر، وقد تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار السياسي في السلطة، نظرا للاضطرابات والاحتلالات، التي تعرض لها حكام الإيالة الجزائرية في

⁽⁴⁾ سفيان صغيري : المرجع السابق، ص ص 33-34 .

هذه الفترة .وما يؤكد عدم استقرار هذه المرحلة هو تعاقب أربعة أغاوات فقط وهم :خليل أغا ،ورمضان أغا ،وشعبان أغا ،وأخيرا علي أغا .وكلهم قتلوا في هذه الفترة الوجيزة ،مما جعل الناس يمتنعون عن ترشيح أنفسهم ،ومال الأهالي إلى تأييد طائفة الرياس ،الذين فرضوا واحدا منهم بوصفه دايا في سنة 1671م .
انقلب جنود الانكشارية على طبقة رياس البحر ،وقبضوا على السلطة ،التي اسندوها إلى الأغا ،في حين اسندوا السلطة التشريعية لمجلس الديوان ،وقد كان عهد الأغوات يحمل منذ البداية في طياته بوادر الانحلال ،لأنه وضع الاغتيالات لتغيير الأغا القديم وتنصيب أغا جديد ،وقد فشل الأغوات في فرض سلطتهم ،كما تميزت هذه المرحلة بالثورات الداخلية ضدهم ،إضافة إلى تعرض الجزائر للحملات البحرية من قبل الدول الأوروبية .

وعقب اغتيال الأغا الحاج علي (1665-1671)م تعرضت الإيالة لاضطرابات خطيرة جعلت الانكشارية يلجؤون من جديد لطائفة رياس البحر فوق اختيارها على أحد الرياس يدعى تركي رياس ،ومنحته لقب الداى ،بمعنى الحامي .أو الخال وبذلك يبدأ عهد الدايات .